ظاهرةُ الاقتباس في شعر صفي الدين الحلي
دراسة بلاغية

أ.م.د. حسين عبد العال اللهيبي

كلية الفقه / جامعة الكوفة

المقدمة :

برزت مدينة الحلة كحاضرة إسلامية منذ أن اتخذها المزيديون مقرّاً لملكهم سنة ٤٩٥هـ ، وقد عاشتْ أوج حضارتها ومجدها على عهدهم ، ومنذ ذلك الوقت أصبحت الحلة موئل العزّ ، ومنار العلم ، وموطن العلماء والأدباء ، وقد حملت مشعل الحضارة الإسلامية ردحاً من الزمن ؛ بل صارت رمزاً يعبِّرُ عن طموحات الأمة في الأصالة والإبداع ، ونشر الثقافة العربية والإسلامية.

وما كادت شعلة النور تنطفيء في بغداد سنة ٦٥٦هت حتّى حلّت محلها الحلّة ، فهاجر إليها الناس على مختلف طبقاتهم إذ وجدوا في الحلة ملاذاً آمناً يلوذون به من شرّ التتار ، فتوجّهوا إليها ، وأقاموا فيها يستفيدون ، ويفيدون .

قامت الحلة بدورٍ كبير في تنشيط الحركة العلمية في العالم الإسلامي ؛ بل ظلّت مصدراً رئيساً للثقافة العربية الإسلامية تطلُّ على العالم بإشعاعها الفكري والأدبي ، وقد اشتهرت بأفاضل الأدباء من كتّابٍ وشعراء ، كان من بينهم صفي الدين الحلي ، صاحب البديعية المشهورة في البلاغة ، والذي يعدُّ بحقّ من أبرز شعراء العصر الوسيط في القرن الثامن الهجري ؛ لما لهُ من أسلوبٍ خاص في النظم ، يغلب عليه اللطف والسهولة والبراعة ، والقدرة الفائقة في التعبير عمّا يجيشُ في صدره من انفعالاتٍ وأحاسيس تمثل ترجمة حيَّة لنوازع النفس وخلجاتها ، وما يعتريها من مظاهر السخط والرضا ، والحبِّ والبغض ، والفرح والحزن ..... لقد كان الشعر من أهمّ آثار صفي الدين الحلي ، وأعظم مجالاته نبوغاً ، وشهرته فيه أعظم من شهرته عالماً وكاتباً .

عاش صفي الدين الحلي في عصرٍ فشا فيه البديع وكثر، حتى أصبح وكْدَ الكثير من الشعراء في هذا العصر ، ؛ لذلك حظيَ باهتمام الشعراء وعنايتهم ... ولعلّ شاعراً عربياً لم يكثر من الاقتباس من القرآن الكريم كما أكثر صفي الدين الحلي ؛ وهذا ما دفعني إلى اختياره موضوعاً لبحثي .

لقد وجدت الاقتباس في شعر صفي الدين الحلي يشكّل ظاهرةً بارزة ، ومعلماً واضحاً ، فضلاً عن الصور والمشاهد الغنية والدقيقة التي استعارها من القرآن الكريم ، قصد الاستعانة على تأييد المعنى المقصود وتقويته ، وإضفاء صفة القداسة والتبجيل للأمر الذي يتحدّث عنه ؛ كلّ هذا أكدَّ لي

أهمية الموضوع ، إذ وجدتُهُ موضوعاً جديراً بالبحث وبذل الجهد ؛ ليكون بحثاً علمياً في الدراسة البلاغية .

ومن هنا جاءت هذه الدراسة في مبحثين مع تمهيد تضمّن حياة الشاعر ، في حين تناول المبحث الأول أبعاد الاقتباس وأهميته وأراء العلماء فيه .

أمّا المبحث الثاني فقد تطرّق إلى أنواع الاقتباس في شعر صفي الدين الحلي التي تمثلت في الاقتباس النصي والاقتباس الإشاري ، وهما جوهر البحث وحقائقه الذي دار الكلام عليها .

التمهيد

(حياة الشاعر)

هو عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم بن أحمد بن نصر بن أبي العز بن سرايا بن باقي ابن عبد الله بن العريض أبو الفضل صفي الدين الحلي السنبسي الطائي ، والسنبسي نسبة إلى سنبس بطن من طي[١] .

ولد يوم الجمعة خامس شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٧هـ ، في مدينة الحلة ، وإليها نسب ، وبها نشأ ، وتثقف فحفظ القرآن الكريم ، ودرس علوم الدين والعربية من : فقهٍ وأصول وتفسير وحديث ونحو ، ومال إلى قرض الشعر وهو ابن سبع سنين ، وحاز قصب السبق فيه حتى (أنّه ما نظم الشعر أحد مثله مطلقاً) [٢] .

فارق الحلة في أول شبابه بعد مقتل خاله (عبد الله بن حمزة بن محاسن) والي الحلة يوم ذاك ، على يد آل الفضل سنة ٦٩٧هـ ، وحثّ قومه على أخذ الثأر ، ووقعت معركة حامية الوطيس بين الطرفين ، قرب بغداد ، عرفت بمعركة زوراء العراق ، شارك فيها صفي الدين الحلي ، وأبلى فيها بلاءً حسناً ، وأبدى شجاعة نادرة ، ونظم فيها قصيدة حماسية منها[٣] :

سلي الرماح العوالي عن معالينا ... واستشهدي البيضَ هل خاب الرجا فينا

وسائلي العرب والأتراك ما فعلتْ ... في أرض قبر عُبيد الله أيدينا

لمّا سعينا فما رقّت عزائمُنا ... عمّا نرومُ ، ولا خابتْ مَساعينا

يا يوم وقعة زوراء العراق وقد ... دنا الأعادي كما كانوا يَدِينونا

كانت تلك الوقعة سبباً في تغرّبه عن أهله ووطنه ، وقد أقرّ هو بذلك حيث يقول (ثمّ جرت بالعراق حروبٌ ومحن ، وطالت خطوبٌ وإحن ، أوجبت بُعدي عن عريني ، وهجر أهلي وقريني) [٤] ، وقصد ماردين وعاش في كنف الملك المنصور غازي بن أرتق ، وقد مدحه بقصائد طوال عرفت بالأرتقيات فبالغ في إكرامه ، وتعهده بالرعاية ، ثم عمل بالتجارة ، وجال في البلدان ، وأدى فريضة

الحج سنة ٧٢٣هـ ، وقصد مصر سنة ٧٢٦هـ ، والتقى بأدبائها وشعرائها كابن نباتة المصري ، والقاضي ابن قلاوون ، وقدم حلب وأقام بها مدّة ، ثم عاد إلى العراق ، ومات في بغداد سنة ٧٥٠هـ ، وله من العمر ثلاث وسبعون سنة .

كان صفي الدين علماً من أعلام الحركة العلمية والأدبية في القرن السابع الهجري ، وقد خلّف آثاراً أدبية مهمة ، منها :

١- ديوان شعر كبير - (طبع) .
٢- نتائج الألمعية في شرح الكافية البديعية - (طبع) .
٣- المثالث والمثاني في المعالي والمعاني - (طبع) .
٤- الدر النفيس في أجناس التجنيس - (مخطوط) .
٥- العاطل الحالي والمرخص الغالي - (طبع) .
٦- صفوة الشعراء وخلاصة البلغاء[٥] - (مخطوط) .

وصفي الدين الحلي يعدُّ في الذروة من شعراء المشرق في هذا العصر ، فقد كان أديباً شاعراً ، ومؤلّفاً ناقداً ، واسع الاطلاع ، ذا ذوق رفيع (له قدرة تامة على النظم والنثر ، وخبرة بعلوم العربية والشعر)[٦] .

وقد أشاد به وبشاعريته مترجموه إشادة عظيمة ، فقد عدّه ابن حبيب (ت ٧٧٤هـ) : (شاعر المشرق .... الذي برع في فنون الأدب ، وجمع أشتات كلام العرب ، وسار في الأقطار ذكره ، واشتهر في الأمصار نظمه ونثره ، كان حسن الأخلاق ، مديد الأرواق ، جميل المحاضرة ، بديع المحاورة ، ذا نسب ورئاسة ، فضائله عديدة ، ومصنفاته مفيدة ، تقدّم بحسن السلوك ، واجتمع بالأكابر والملوك)[٧] ، وذكره الصفدي (٧٦٤هـ) فأثنى عليه ثناء جميلاً (وشعره مع حلاوة الديباجة ، وطلاوة التركيب التي ما فرحت بها طلاء الدن ، ولا سلافة الزجاجة ، لا يخلو من نكتٍ أدبية ، ترقص المناكب ، وفوائد علمية من كلّ فنٍّ ، عالماً بكلِّ ما يقول ، عارفاً بغرائب النقول)[٨]، وقال فيه ابن شاكر (ت٧٦٤هـ) : (أجاد القصائد المطولة والمقاطيع ، تطربك ألفاظه المصقولة ، ومعانيه المعسولة)[٩] .

المبحث الأول

((أبعادُ الاقتباس وأهميتُهُ وأراء العلماء فيه))

يعدُّ الاقتباس – عند تأمل سماته وخصائصه – ظاهرة فنية برزت في أدب العصر الوسيط ، وقد افتنّ به شعراء هذا العصر ، بل أصبح وكد الكثير منهم ، فهاموا به ، وعنوا بع عناية فائقة . ومن يستقريء اقتباساتهم يشهد لهم : بطول الباع ، والأدب الجم ، وسلامة الطبع ، وأصالة الفنّ ؛ حرصاً منهم على بلوغ السبق الأدبي ، وإظهار مهارتهم الفنية ، وقد حاولت جاهداً أن أبين في هذا المبحث أبعاد الاقتباس وأهميته وأراء العلماء فيه ، وأول ما نبدأ به :

أوّلاً – أبعادُ الاقتباس :

للتعرف على حقيقة الاقتباس وأبعاده لا بدّ من الوقوف على :

١- الاقتباس لغةً :

الاقتباس في اللغة هو طلب القبس ، وهي الشعلة من النار ، وهو مأخوذ من اقتباس النار والضوء ، واقتباس نور المصباح من نور القبس ، وهو الشهاب على نحو ما جاء في القرآن الكريم (أَنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ) [الحديد : ١٣] ، ثمّ استعير اللفظ لطلب العلم ، يقال اقتبستُ منه علما أي استفدته[١٠] ، وقبس علماً تعلّمه ، ثمّ استعير اللفظ للقرآن والحديث الشريف ؛ لأن (القرآن والحديث أصل الأنوار العلمية)[١١] ، وإذا كان الاقتباس بمعناه اللغوي هو (أخذ النار ، واستفادة العلم ، ومناسبة كلا المعنيين بصنعة الاقتباس ظاهرة ؛ فإنّ المتكلم أخذ من القرآن والحديث في كلامه ما هو بمنزلة جذوة نارٍ تضيءُ في كلامه)[١٢] .

٢- الاقتباس اصطلاحاً :

أما فنياً فلا بد من تحديد مدلول الاقتباس ، ولعلّ الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) هو أقدم الباحثين الذين عنوا بالاقتباس ، فقد سمّى أحد كتبه (الاقتباس في القرآن الكريم) ، ومدلول الاقتباس عنده هو (اقتباس الناس على اختلاف طبقاتهم ، وتفاوت درجاتهم من كتاب الله – عزّ اسمه – في خطبهم ومخاطباتهم ، حكمهم وآدابهم ، وأمور معاشهم ومعادهم ، وفي مكاتباتهم ومحاوراتهم ، ومواعظهم وأمثالهم ، ونوادرهم وأشعارهم ، وسائر أغراضهم)[١٣] .

وحاول ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) أن يحدّ الاقتباس ويرسم معالمه ، إلاّ أنه لم يأت بالتعريف الجامع المانع ، وهو يرى أن الأديب إذا أراد يقتبس من القرآن فعليه (أن يُضمّن كلامه بالآيات في أماكنها اللائقة بها ، ومواضعها المناسبة لها ، ولا شبهة فيما يصير للكلام بذلك من الفخامة

والجزالة والرونق)[١٤] . فهو إذن يشترط في الاقتباس ألاّ ينقل فيه اللفظ المقتبس منه عن معناه الأصلي إلى معنًى آخر .

أمّا شهاب الدين الحلبي (ت ٧٢٥هـ) فإنّه يرى في الاقتباس (أن يُضمَّن الكلام شيئاً من القرآن والحديث ، ولا ينبّه عليه للعلم به)[١٥] .

ولا يختلف تعريف الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ) ، وسعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٢هـ) ، والشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) عن تعريف شهاب الدين الحلبي ، إذ نراهُم يرددونه لفظاً ومعنى[١٦].

وقريبُ منه تعريف شرف الدين الطيبي (ت ٧٤٣هـ) وهو أن يوشح الكلام بشيءٍ من القرآن ، أو الحديث ، أو الفقه ، لا على أنّه منه)[١٧] . بل تعريفه امتداد طبيعي لتعريف شهاب الدين الحلبي.

وذهب يحيى بن حمزة العلوي (٧٤٩هـ) إلى أنّ الاقتباس (ما كان من الكلام مشتملاً على ذكر آية من كتاب الله تعالى ، أو كلمة جيء بها من أجل فخامة شأنه ، وتحسيناً لنظامه ، فتكون ياقوتة لوشاحه ، وشعلة في مصباحه ، ودرة في تاجه ، وزيتونة سراجه ، وزبدة في ثمرته وكريم نتاجه)[١٨]

والاقتباس عند ابن حجة الحموي (ت ٨٣٧هـ) هو (أن يأتي المتكلم في كلامه المنظوم ، أو المنثور بشيءٍ من ألفاظ القرآن ، أو الحديث مع قطع النظر عن كونه لفظ المقتبس منه)[١٩] .

وقد تابعه على هذا التعريف نصاً ناصر الدين بن قرقماس (ت٨٨٢هـ) دون أن يضيف إليه شيئاً[٢٠] .

ويرى ابن معصوم (ت١١٢٠هـ) أنّ الاقتباس (هو تضمين النظم أو النثر بعض القرآن لا على أنه منه ، بأن لا يقال فيه : قال الله أو نحوه ، فإن ذلك حينئذٍ لا يكون اقتباساً)[٢١] .

ومراد ابن معصوم (لا يكون اقتباساً) ، هو أن الاقتباس قد يختلط بمحسّنٍ بديعي آخر هو العقد وهو أن ينظم نثراً أو حديثاً أو مثلاً ، أو غير ذلك لا على طريق الاقتباس بأن يقع تغيير كثير ، ويشير إلى أنّه من القرآن[٢٢] .

وهذا يعني أن العقد يشترط فيه التنويه بأنّ المقتبس منه هو جزء من القرآن الكريم ، وقد وقع في شعر صفي الدين كثير من العقد ، فمن ذلك قوله[٢٣] : [المجتث]

يـــــا ربِّ ذنبـــــي عظـــــيمُ وأنـــــت عنّـــــي حلـــــيمُ

بـــــلْ عزّنـــــي منـــــكَ وعـــــدٌ لـــــــهُ الأنـــــــامُ تـــــــرومُ
إذا قلـــــتَ فـــــي الـــــذكر للمصـــــــ ـــــــطفى وأنـــــــتَ كـــــــريمُ
(نَبّـــــــيء عبـــــــادي أنّـــــــي أنـــــــا الغفـــــــورُ الـــــــرحيمُ)

فصفي الدين في هذا النص يصرّح بأنّ الآية (نَبِّيءِ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الغَفُورُ الرَّحِيم) [الحجر : ٤٩] ، هي من القرآن ، بدليل قوله : إذا قلتَ في الذكر ... .

ومن العقد الذي ورد في شعره أيضاً قوله فيمن يماطل للوعود بتضييع الوقت بين العذر والعذل ، وأن الإبطاء في أنفاذ الوعد ، وعدم التعجيل به ليس من صفات الإنسان الذي لا أصدق من قول الله فيه حين وصفه بالعجلة بقوله تعالى (خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ). [الأنبياء : ٣٧] وقد نوّه الشاعر بأنّ الآية المذكورة من القرآن لقوله[٢٤] : [البسيط]

لمّـــا تطـــاولَ بـــي إفـــراطُ مطلـــك لـــي وضـــاعَ وقتـــي بـــين العُـــذر والعَـــذَلِ
أيقنـــتُ أنْ لســـتَ إنســـاناً لفعلـــكَ ذا لقولِهِ : (خُلِقَ الإنســـان مـــن عجـــل)

وإذا كان الاقتباس هو أن يضمن المتكلم كلامه شيئاً من القرآن الكريم ، والمراد هنا (بتضمينه أن يذكر كلاماً وجد نظمه في القرآن أو السنة مراداً به غير القرآن ، فلو أخذ مراداً به القرآن لكان ذلك من أقبح القبيح)[٢٥] .

ومن هنا فإنّ الاقتباس هو تضمين الكلام شيئاً من القرآن الكريم ، والحديث الشريف دون الإشارة إليهما ، لتقوية المعنى ، وتأكيد الكلام ، ويشترط فيه أن يحتفظ فيه اللفظ المقتبس منه عن معناه الأصلي إلى معنًى آخر ، ويجوز أن ينقل فيه اللفظ المقتبس منه عن المعنى الأصلي إلى معنًى آخر[٢٦] . أو بعبارة أخرى : يصحّ القول إن ما اقتبس من القرآن الكريم أن يكون غير خارج عن معناه الذي ورد به القرآن ، ويصح أن يكون خارجاً بشيءٍ من التصرّف ، وفي الحالة الأولى يُعدّ المقتبس منه قرآناً ، بشرط أن لا يكون فيه أدنى تحريف لفظي ، وفي الحالة الثانية لو اقتبس منه بشيءً من التغيير اللفظي لا يعدُّ قرآناً ؛ لأنّه حينئذٍ نقل بالمعنى .

يتألف الاقتباس في بنائه التعبيري من ثلاثة أركان هي المقتبس والمقتبس منه والمقتبس له ، فالمقتبس هو الأديب سواء كان شاعراً أم كاتباً أم خطيباً ، والمقتبس له النص الأدبي سواء أكان شعراً أم نثراً ، والمقتبس منه هو القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وسواهما لا يعدُّ اقتباساً .

ثانياً- أهمية الاقتباس :

يبقى القرآنُ الكريم معجزة الرسول محمد – صلّى الله عليه وآله وسلم– تلك المعجزة التي أبهرت العقول ، وأدهشت النفوس ، وقد تحدّى بها العرب مع فصاحتهم وبلاغتهم ، فألجم ألسنتهم ، وعقل بيانهم ، وعجزوا عن مجاراته ، مع جدّهم واجتهادهم في إزالة أمره ، وإبطال دعواه ، هذا والقرآن يقرعُ أسماعهم بين الحين والآخر متحدياً لهم بقوله تعالى : (قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صادقين) [هود : ١٣] ، وقوله تعالى : (فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ) . [البقرة : ٢٣] .

ويظهر أثر القرآن الكريم في الأدب العربي منذ نزوله ، والمتمثل بما اصطلح عليه البلاغيون بالاقتباس ، فهذا (النبي – صلّى الله عليه وآله وسلم – هو أفصح العرب لهجةً ، وأعذبهم عذبة ، وأحسنهم إفصاحاً وبياناً ، وأرجحهم في الحكمة البالغة ميزاناً ، قد اقتبس من معاني القرآن وألفاظه في الكثير من كلامه ، والجمّ الغفير من مقاله ، وكذلك السلف الأفضل من الصحابة والتابعين – رضي الله عنهم أجمعين – ومن بعدهم إلى يومنا من كلّ طبقة ، فما أكثر ما عوّلوا على الاقتباس من القرآن، فرصّعوا كلامهم ترصيعاً ، وتعاطوا فنونه جميعاً)[٢٧] .

لقد ترك القرآنُ بصماتِهِ على الشعر والنثر على حدٍّ سواء ، وكان أثرُهُ فيهما عميقاً ، كما بعث في نفوس الأدباء حسّاً جمالياً ، دفعهم إلى مجاراةِ أسلوبِهِ ، وترسُّم خطاه (وكفى بالقرآن وحده آلة وأداة في استعمال أفانين الكلام)[٢٨] ، فهو (أنجح ما ضمّنه المرتجل ، وأرجح ما استعان به المحتفل ؛ لأنّه الموعظة الحسنة ، والحجّة البالغة ، والحكمة الباهرة)[٢٩] ، فأخذوا يرتشفون من فيضِهِ ، وينهلون من معينِهِ الثر ، وقصارى جهدهم فيه : (أنْ يقتبسوا من ألفاظه ومعانيه في أنواع مقاصدهم ، أو يستشهدوا ويتمثلوا في فنون مواردهم ومصادرهم ، فيكتسي كلامهم بذلك الاقتباس معرضاً ما لحسنه غاية ، ومأخذاً ما لرونقه نهاية ، ويكسبُ حلاوةً وطلاوة ما فيها إلاّ معسولة الجملة والتفصيل)[٣٠] .

ومن غير شكٍّ أن القرآن الكريم يبقى ميداناً فسيحاً للأدباء ينهلون من معينه ، ويتحسّسون مواطن الجمال فيه ، فلم يألوا جهداً في مجاراته ، والإفادة من أساليبه ، وإظهار مهاراتهم الفنية ، وقدراتهم الإبداعية على النظم فيه ؛ فاقتبسوا من ألفاظه ومعانيه وصوره ، متمثلين بآياته الكريمة في مخاطباتهم وأشعارهم .

ونزوع الأدباء إلى توشيح كلامهم بشيءٍ من القرآن الكريم ؛ لأنّه كتاب الله الذي (يملأ القلوب بشراً ، ويبعث القرائح عبيراً ونشراً ، ويحيي القلوب بأوراده)[٣١] ، فضلاً عن أنّه يزيّن الكلام لدى المتلقي بما يضفي عليه من التأثير والقوة عن طريق تداعيات المعاني ، وإيحاءات الألفاظ

، فتعظم به الفائدة فيه ، كما أنّهم : (وجدوا فيه لإقامة الحجّة ، وقطع النزاع ، وإذعان الخصم ، وقد تقومُ الآية الواحدة المستشهد بها في بلُوغ الغرض ، ما لا تقومُ به الكتب المطوّلة ، والأدّلة القاطعة)[٣٢] .

ويظهر أثر القرآن في مجال خصائص الشعر وسماته ، فالشعراء يحرصُون على تطعيم نتاجهم بفيض القرآن الكريم ؛ طلباً لتدعيم المعنى وتقويته ، وما يضفي عليه من الجمال والرقة والبهجة فهو (يُورث الكلام البهاء والوقار ، والرقة وسلس الوقع)[٣٣] ، مما يؤدّي به إلى الوضوح والتأثير ؛ أضف إلى ذلك ما للقرآن (من حسن الطلاوة ، ولطف الرونق ، ما يدرك بالضرورة ، ويظهر التفاوت بينه وبين غيره بالحسن والذوق ، وما ذاك إلاّ إنّه كلام لم تقتضيه مدارج الألسنة ، ولا سمحت قريحته بمعارضة لفظةٍ من ألفاظه على تكرّر الأيام والأزمنة)[٣٤] .

لقد اتكأ الشعراء على مفردات القرآن ؛ لما لها من صلة بكلام الله عز وجل ؛ ولما توفره هذه المفردات من قدرات إيحائية وتعبيرية تعظم الفائدة بها ، ويستثمرها الشعراء في شتى الظروف والمناسبات التي يمرّون بها ، وتمرُّ بهم ؛ فلكلّ شاعرٍ قدرته في التعبير ، وموهبته المميّزة التي تمكنه من التعامل مع معطيات النص القرآني ، وما من ريبٍ في أن (الألفاظ المقتبسة من القرآن ، أو الحديث تزيد الكلام قوّةً وبلاغة ، كما تضفي عليه حسناً وجمالاً ، إذ تبدو وسطه كالضياء اللامع ، والنور المشرق ... والمتكلم عندما يقتبس يبني كلامه على الالتئام والتلاحم ، وبهذا يبدو كلامه قوياً بليغاً)[٣٥].

وإذا تأملنا شعر صفي الدين الحلي نجده مفتوناً بالاقتباس افتناناً جعله يستعمله كثيراً حتى أصبح سمةً بارزةً ، ومعلماً واضحاً في شعره ، وقد تهيأ له من القدرة الفنية ، والطاقة الشعرية ما جعله في طليعة الشعراء المشهورين بهذا الفن ، وهو دليل على تمكنه من كتاب الله واستظهاره له ، وتدبّره لمعانيه حتى غدا (مصوّراً في فكره ، دائراً على لسانه ، ممثلاً في قلبه ، ذاكراً له في كلّ ما يرد عليه من الوقائع التي تحتاج إلى الاستشهاد به فيها ، ويفتقر إلى إقامة الأدلة القاطعة به عليها وكفى بذلك معيناً في قصده ، ومغنياً له عن غيره)[٣٦] .

ثالثاً- أراء العلماء في الاقتباس :

لقد هام الأدباء بالاقتباس من القرآن الكريم ، من خلال نزوعهم إلى توشية كلامهم نثراً وشعراً بالآيات القرآنية ، فهم يتذوقون بلاغة القرآن ، وينهلون من معينه ، فاستمدّوا منه ألفاظهم ومعانيهم وصورهم .. وفي هذا ما يكفي للاستدلال على سموّه وجلالته وروعته ، وحسن موقعه من

النفوس ، ومع هذا فهناك من منع الاقتباس ، ولم يجزه ، وبالغ في تحريمه ، وشدّد النكير على فاعله ، ولعلّ المالكية هم من أشدّ المذاهب تحريماً له[٣٧] .

ووافقهم من الشافعية محي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) إلاّ إنّه جوّز الاقتباس في النثر من الخطب والمواعظ ومنعه في النظم)[٣٨] .

ومنهم بهاء الدين أحمد بن علي السبكي (ت ٧٧٣هـ) حيث يقول (الورع اجتناب ذلك كلّه ، وأن ينزّه عن مثله كلام الله –عزّ وجل – ورسوله)[٣٩] .

ومنهم إسماعيل بن المقري اليمني الشافعي فإنّه يرى الاقتباس من القرآن الكريم ما كان في الخطب والوعظ ومدح النبي – صلّى الله عليه وآله وصحبه – ولو في النظم فهو مقبول ، وغيره مردود[٤٠] .

أما سائر الشافعية فقد أجازوه في النثر والنظم ، يقول السيوطي (وأمّا أهل مذهبنا فلم يتعرّض له المتقدّمون ولا أكثر المتأخرين مع شيوع الاقتباس في أعصارهم ، واستعمال الشعراء له قديماً وحديثاً)[٤١] .

وللخروج من هذه الدائرة الضيّقة فقد حاول بعض علماء البديع : كتقي الدين بن حجة الحموي (ت ٨٣٧هـ) ، وجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) أن يوفقوا بين المنع والجواز ، فقسّموا الاقتباس إلى ثلاثة أقسام : مقبول ، ومباح ، ومردود ، فالأول ما كان في الخطب والمواعظ والعهود ومدح النبي – صلّى الله عليه وآله وسلّم – ونحو ذلك ، وهذا ليس مجال بحثنا الذي نحن بصدده ، والثاني ما كان في الغزل والرسائل والقصص ، والثالث على ضربين : أحدهما ما نسبه الله عزّ وجل إلى نفسه ، والآخر تضمين آية كريمة في معنى هزل[٤٢] .

وشعر صفي الدين الحلي المتضمن للاقتباس جلّه من القسم الثاني ، ولم نجد في شعره من القسم الثالث إلاّ قوله متغزلاً ، وهو اقتباس غير مقبول[٤٣] : [مجزوء الوافر]

وذكّرْ عِطفكَ الميـ لَ ، والـردف بما ألقى
(سيذكّرُ من يخشى ويتجنّبُها الأشقى)

لقد وقع الاقتباس في البيت الثاني حيث أخذه الشاعر من قوله تعالى (سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى * وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى) [الأعلى : ١٠-١١] وهو غير لائق بين المعنى الذي قصد إليه الشاعر ، والمعنى الذي أرادته الآية .

وصفوة القول في الاقتباس إنه أحد فنون البديع الذي عرفته البلاغة العربية منذ عهدٍ مبكر ، وكان يعرف بالذوق ، ويتأتى بالسليقة ، بعيداً عن التكلُّف والصنعة ، ثم ما لبث أن شاع في العصر

الوسيط حتى غدا ظاهرة لها أهميتها في الدرس البلاغي شأنه في ذلك شأن غيره من المحسّنات البديعية : كالجناس والتورية ، وإذا كان الاقتباس يتمثل بتضمين المتكلم كلامه شيئاً من القرآن الكريم والحديث الشريف ؛ فإنّ ذلك مما يزيد النص الذي يرد فيه وضوحاً وتأثيراً ، ويكسبه حينئذٍ حسناً وقوةً ، ويملأه إشراقاً وبهاءً ؛ وهو أكثر فنون علم البديع أثراً وجذباً وتأثيراً ؛ لما للقرآن من موقع مستحسن في النفوس .

المبحث الثاني

أنواع الاقتباس في

شعر صفي الدين الحلي

استعان صفي الدين الحلي بالقرآن كثيراً في التعبير عمّا يعتلجُ في صدره ، من خلال نزوعه إلى الأخذ منه مراراً وتكراراً ، وكأنما جعل ذلك خاصة فنية له تميّزه من نظرائه الذين غرقوا بفنون البديع الأخرى : كالتورية والجناس وغيرها ، بما يشهد له بطول الباع ، والفهم الدقيق ، والذوق الصحيح في اختيار المناسبة من غير أن يعتري اللفظ شذوذ أو قلق أو حرج ، ومن غير أن يبدو الكلام مرذولاً مردوداً .

وفي ديوانه نتلمس كثيراً من الاقتباس الذي يدلُّ على طاقة إبداعية هائلة ، وقدرة فنية واسعة في استثمار النصّ القرآني استثماراً يليق بالمعنى الذي يروم إيضاحه ، وإبراز صورته .

إذا كان الصفي قد نشأ نشأةً دينية وأدبية ، فإنّ هذه النشأة جعلته يتفاعل مع القرآن الكريم ، متأثراً به ، منفعلاً بمعانيه ، ناطقاً بألفاظه ، فهو ينهل من معينه ، ويعتمد عليه في ألفاظ شعره ومعانيه وصوره اعتماداً كبيراً ، ويأخذ منه أخذاً مباشراً ، ويبدو ذلك جلياً من خلال تناثر الألفاظ القرآنية في تضاعيف شعره بشكلٍ ينمّ عن ثقافةٍ قرآنية واسعة ، مسخراً إياها لفظاً ودلالة ، وإذا تأمّلنا شعر صفي الدين الحلي نستطيع أن نتلمس ملامح هذا الاقتباس في نوعين ، هما :

أولاً – الاقتباس النصي (المباشر) :

يتمثل الاقتباس النصّي بما يؤثره الشاعر من آي الذكر الحكيم : سواء كان آية ، أم جزءاً من آية، أم حديثاً شريفاً يقتبسها نصّاً ، فيودعها في تضاعيف شعره من دون أن يتصرّف بألفاظها على وجهٍ لا يشعر به أحد ، وكأنّه جزءٌ من شعر الشاعر ؛ بل من دون أن ينبّه هو عليه ؛ (لأن القرآن أبين من أن يحتاج إلى بيان ، وكيف يخفى وهو المعجز الذي لو اجتمعت الجن والإنس على أن يأتوا بمثله لا يأتون بمثله)[٤٤] . وهذا يعني أنه لا يحوّل المقتبس منه عن لفظه ، بل يورده

الشاعر بلفظه كما هو من غير تغيير شيء من لفظه بغيره ، وإنما يوظف الشاعر النص المقتبس منه في معنًى آخر ، خدمة للغرض الذي يرمي إليه الشاعر ، والموقف الذي يمرّ به .

ويظهر الاقتباس في شعر صفي الدين الحلي – في هذا الجانب – من خلال ما ضمّنه من آيات قرآنية تصرّف بها بما ينسجم ودلالة الغرض الشعري الذي نظمت لأجله . وكثيراً ما يقع اقتباسه لها في قوافيه ، وفي هذا دليل على براعته الفائقة ، وقدرته الفنية المتمكنة ، مما جعله فيما بعد يُعْنى باقتباس كثير من النصوص القرآنية في شعره ، والأمثلة في هذا الباب كثيرة جدّاً ، ومن أمثلة هذا النوع قوله(٤٥) : [الخفيف]

قد صبرنا بالوعدِ منك شهورا ما رأينا بهنَّ ليلةَ قدْرِ
كلّ تلك الشُّهور بيضٌ ، ولكن (ليلةَ القدر خيرٌ من ألفِ شهرِ)

وقع الاقتباس كأحسن ما يكون في البيت الثاني حيث اقتبس الشاعر من قوله تعالى (لَيْلَةُ القَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ) [القدر : ٣] ، مع أن المعنى الذي يرمي إليه الشاعر لا يتفق ومدلول الآية المقتبسة ، فهو يتحدث عن الوعدِ لمن وعده بانجازه ، ثمّ مضت عليه أشهرٌ ولم يفِ بوعده ، بل لم يكن منه سوى المماطلة والتسويف له ، وهو يأمل منه أن يكون صادقاً في وعده كليلة القدر من شهر رمضان التي تعدّ خير من ألف شهر ، ومع بعد المعنى الذي يرمي إليه الشاعر ، إلاّ أنه يتناسب ودلالة الآية .

وفي غمرة الذهول والحيرة والخوف من الذنوب التي احتطبها على ظهره وهو في ميعة الشباب ، وهو الآن وقد تقدّمَ به العمرُ ، وخارتْ قواه ما فتأت تلك الذنوب تؤرِّقُهُ دائماً ، ويعتريه خوفٌ شديد ، ذالك الخوف الذي يجلبُ له الوساوس ، ويرمضُ العيون ، ويثير الشجون ؛ لذا نراه يدعو نفسه إلى التوبة والإنابة إلى الله – عزّ وجل – حيث يجعل الاطمئنان مقروناً بالرجاء لعفو الله ، فالله هو وحده الذي يستمع الدعاء ، والقادر على غفران الذنوب ؛ مستعيناً بالآية الكريمة (قُلْ يا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جميعاً إِنَّه أَرحمُ الرَّاحِمِين)[الزمر : ٥٣] ، بعد أن مهّد لها ، وأدرجها في سياق شعره(٤٦) : [الخفيف]

تبْ وثبْ وادعُ ذا الجلال بصدقٍ تجد اللهُ للدعاءِ سميعا
لا تخفْ مع رجاء ربِّك ذنباً إنّه (يغفرُ الذنوبَ جميعا)

ونمضي معه في طائفة جميلة من اقتباساته التي أدرجها في تضاعيف شعره ، ومن ذلك قوله في صديقٍ له يعرف بأبي الفضل ، وقد سعى الأعداء في الخراب بينهما [٤٧] : [الرمل]

نالت الأعداء بالسعي مُناها فبرغمي يا أبا الفضلِ رضاها
كانَ سعيُ الضّدِّ فيما بيننا (حاجةً في نفس يعقوبٍ قضاها)

ذهب الشاعر في هذا النصّ وهو يخاطب صديقه إن الأعداء نالت مرادها حين سعت بيننا ، وقد حاولت جاهداً أن أحتفظ بودادك ، وأن أطلب رضاك ، ولكنّ الأعداء لم يرق لهم ذلك ، فأبوا إلاّ الخراب والقطيعة بيننا ، والسبب لحاجة في أنفسهم أسرّوها ، وقد استعان في إبراز المعنى جلياً بقوله تعالى حكاية عن يعقوب – عليه السلام – (وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ شيءٍ إلاّ حاجةٌ في نَفْسِ يعقُوبَ قَضَاهَا وإنّه لَذُو عِلْمٍ لِما عَلَّمْنَاهُ ولكنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُون) ،[يوسف : ٦٨] .

ومن روعة الاقتباس قوله[٤٨] : [السريع]

قناعة المرء بما عنده مملكةٌ ما مثلُها مملكهْ
فارضوا بما قد جاء عفواً : (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكهْ)

إنّه يدعو إلى القناعة والرضا بما قسم الله للعبد ، والإعراض عن الطمع الذي طالما أورد صاحبه إلى التهلكة ، وقد اقتبس ذلك من قوله تعالى (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيدِيكُمْ إِلى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُحْسِنِين) ، [البقرة : ١٩٥] .

ويمضي على هذا النحو من الاقتباس في كلّ مناسبة ، أو ظرف يمرُّ به ، فيجلو شعره ، ويكسوه رونقاً وطلاوة ، ذلك متى ما وضعت الآية القرآنية في مواضعها الملائمة من النص وقعت في النفس موقع الاستحسان ، ومن ذلك قوله فيمن حمّله جميلاً[٤٩] : [الرجز]

حمّلتنا بالمنّ حملاً ثقيلْ فـ (حسبنا الله ونعم الوكيلْ)

أراد أن يقول : إذا كنت عزمت على أن تحمّلنا جميلاً لا طاقة لنا بحمله ، فأمرنا معك إلى الله ، وهو حسبنا في الإعانة والكفاية ، فهو المفوض إليه في الشدائد فيما حمّلتنا به ، وهو منّك علينا ، وقد اقتبسه من قوله تعالى (الَّذِينَ قَالَ لَهُمَ النّاسُ إِنَّ النّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ أيماناً وقَالُوا حَسْبُنا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيل) ، [آل عمران : ١٧٣] .

وقوله يذمّ حماماً دخلها[٥٠] : [الرمل]

إنّ حمّامـــــــك قـــــــد ضـــــــــ ـــــــــمّتْ حميمـــــــاً وحِمامـــــــا
فهـــــي مثـــــلُ النـــــار (ســـــاءتْ مُســـــــــــتقرّاً ومُقامـــــــــا)

فالشاعر هنا يتحدّثُ عن حمّامٍ دخلها ، فلم ترق له إذ وجدها قذرةً ، مظلمة موحشة ، شديدة الحرارة ، وحينما أراد أن يعبر عن شدّة حرارة الحمام لم يجد أبلغ من النار وقد ساءت مستقرّاً ومقاماً لداخليها ، وهو في ذلك يستحضر مقام وسياق الآية القرآنية : (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا) ، [الفرقان : ٦٥- ٦٦] .

وقوله في غلامٍ جميل ، وقد بدا وجهه وسط شعره الأسود المتهدل على كتفيه كأنه شمس في جنح ليل بهيم ، ومن تأمل الخال على خدّه تيقن أنّ (ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ) ، [الإنعام : ٩٦] ، وقد اقتبس هذا الجزء من الآية الكريمة ، و أتمّ بها معناه ، فأضفى عليه الإيحاء والتأكيد والقوة والدلالة المؤثرة في المتلقي(٥١) : [السريع]

جـــلّ الـــذي أطلـــعَ شـــمسَ الضُّـــحى مشـــرقةً فـــي جـــنحِ ليـــلٍ بهـــيمْ
وقـــدّرَ الخـــالُ علـــى خـــدِّهِ (ذلـــكَ تقـــديرُ العزيـــزِ العلـــيمْ)

ومن جميل اقتباساته قوله(٥٢) : [المتقارب]

ســـلِ اللهَ (يجعـــلْ لـــهُ مخرجـــاً ويرزقـــهُ مـــن حيـــث لا يَحتســـبْ)

فألفاظ هذا النص مقتبسة من قوله تعالى (. . . وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً) ، [الطلاق : ٢-٣] .

وكذلك قول(٥٣) : [البسيط]

ســـــرُّكَ إن صِـــــنْتهُ بصـــــمتٍ أصـــــلحَ بـــــين الأنـــــامِ شـــــانَكْ
فـــــلا تفُـــــهْ لامـــــريءٍ بســـــرٍّ و(لا تحـــــرّكْ بـــــه لســـــانكْ)

يوصي بحفظ السرّ ، لأنّ إفشاء السرّ ربّما أودى بحياتك ، وكان سبباً لهلاكك ، وقد قرن إفشاء السرّ بالهلاك معتمداً في ذلك على قوله تعالى (لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) ، [القيامة : ١٦] .

ولم يقتصر اقتباسه على آيات القرآن في هذا الوجه بل تعدّاه إلى اقتباس الحديث الشريف ، فمما اقتبسه من الحديث الشريف ، قوله(٥٤) : [المتقارب]

لـــــديَّ تصـــــحّ ثمـــــارُ الوفـــــاء لصـــــبريَ عنـــــد انقـــــلاب الهـــــوى
وينبـــــتُ عنـــــدي نخيـــــل الـــــوداد لأنّـــــك عنـــــدي دفنـــــتَ النـــــوى
فـــــلا تنـــــوِ غيـــــرَ فعـــــالِ الجميـــــل فـــــإنَّ (لكـــــلِّ امـــــريءٍ مـــــا نـــــوى)

ورد الاقتباس في البيت الثاني ، وهو مقتبس من قول النبي – صلّى الله عليه وآله وسلّم – (إنما الأعمال بالنيات ولكلّ امريء ما نوى) (٥٥) ، وقد جاء هذا الاقتباس كأحسن ما يكون مقرونـــاً بالجناس حيث جانس بين لفظة (النوى) في البيت الثاني ، ولفظة (نوى) في البيت الثالث بأسلوب واضح التكلّف والصنعة ، وقد جاء رافلاً بشعار التورية في البيت الثاني في لفظة (النوى) ، وقد قصد بها المعنى القريب نوى التمر ، وهو جمع نواة ، والنوى بالمعنى البعيد الفراق ، وهـــو مـــراد الشاعر .

ومن خلال هذا الاقتباس الذي ورد في شعر صفي الدين الحلي نجد انسجام الألفاظ القرآنيـــة المقتبسة مع ألفاظ الشاعر وتفاعلها ، فليس ثمة غرابة بينها وبين النص المقتبس ، فهـــي تمتـــزج بعلاقات جديدة في نطاق العبارات ، كما يشهد لصاحبه بتمكنه واستظهار ما تيسّـــر مـــن القـــرآن ، والبصر بدقائق أسراره .

ونكتفي بهذا القدر بياناً للشواهد التي أوردناها دون النظر إلى غيرها ، وفيها ما يدلّ علـــى ذوق صفي الدين الحلي ، ودقة اختياره للنص المقتبس منه .

ثانياً – الاقتباس الإشاري (غير المباشر) :

وفي هذا النوع يحق للشاعر أن يغيّر لفظ المقتبس منه بزيادة أو نقصان ، أو تقديمٍ أو تأخير ، أو إبدال الظاهر من المضمر ، كون (المقتبس منه ليس بقرآن حقيقة بل كلام يماثله ، بدليل جواز النقل عن معناه الأصلي، وتغيير يسير فيه) (٥٦) .

ومن غير شكٍّ أن المعنى القرآني الذي يقتبسه الشاعر شيءٌ ، والمعنى الذي يريده الشـــاعر شيء آخر ؛ لأنّ اتحاد المفهوم في ضمير الشاعر لا يتم إلاّ أن يكتفي ببقاء أكثر الألفاظ على مفهومه . وهذا النوع من الاقتباس الإشاري يقع في وجهين :

١ – المعاني :

يلجأ صفي الدين الحلي في كثير من نصوصه الشعرية إلى توظيف المعني القرآني ، وإدراجه ضمن معاني نصوصه ، رغبة منه في تقوية المعنى الذي يريده ، وطلباً للوضوح والتأثير ، لاســـيما وأن القرآن غنيٌّ بمعانيه ، والمعروف أن صفي الدين الحلي يهتمُّ بمعانيه اهتماماً كبيراً ، بل يفـــتن في الغوص عن المعنى الجميل ؛ لهذا يستثمر معانٍ القرآن للتعبير عمّا يدور في خلده مـــن أفكـــارٍ

ومعانٍ ، وما يختلج في صدره من انفعالاتٍ وأحاسيس هي ترجمة حيَّة لنوازع نفسه وخلجاتها . وهذا النوع من الاقتباس في شعر صفي الدين الحلي كثير بالنسبة إلى باقي الأنواع الأخرى .

ومن المعاني التي تداولها في شعره ، قوله يستدعي بعض الأصدقاء إلى لقائه ، وقد غاب عنه مدّة ، وكان إلى رؤيته متشوّقاً[٥٧] : [الخفيف]

ليس كلّ وقت يجتمعُ الشّملُ ، ولا راجعٌ لنا ما يفوتُ
فاغتنمْ ساعةَ اللقاءِ فما تَعْلمُ نفسٌ بأيِّ أرضٍ تموتُ

فالشاعر عبّر بهذا الاقتباس عن الصديق الذي بعد عنه وهجره ، وهو مشتاق إلى لقائه ، ولكن ليس كلّ وقت يطيب فيه اجتماع الشمل ، وما مضى لا يرجع ، إذ ليس للإنسان إلا الساعة التي هو فيها ، فما عليه إلا أن يغتنم ساعة اللقاء ، فما تعلم النفس ساعة موتها ، بل (وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدَاً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرضٍ تَمُوتُ) ، ([لقمان : ٣٤] .

وفي إطار الحيرة ومراجعة النفس ، يقول بعد أن حوّر في ألفاظ الآية[٥٨] : [الكامل]

اقرأ كتابكَ واعتبرهُ قريبا فكفى بنفسِكَ لي عليك حسيبا

فالشاعر يستشعر الخوف والقلق الناجم عن النفس المضطربة ، لهذا نجده يستثمر النص القرآني (اَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبَا) ، [الإسراء : ١٤] ، وكأنه يريد أن يقول : راجع نفسك ، وتأمل أعمالك فإنها زادك الذي تحمله إلى الآخرة ، لاسيما وإن البقاء في هذه الدنيا قليل ، وإن الرحيل عنها قريب .

ونراهُ في موضع آخر يأسَى على ما فرّط في جنب الله ، وما اقترفه من الذنوب ، وهو في عنفوان الشباب يوم غرّته الدُّنيا بغرورها ، فإنه يلجأ إلى الله : راجياً عفوه ، وطالباً مغفرته ؛ ومن غير شكّ أن كلّ ذنبٍ يتلاشى ويضمحل أمام عفو الله ومغفرته ؛ وهو في ذلك يستحضر هذا المعنى من الآية الكريمة (إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكَ بِاللهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً) ، [النساء : ٤٨] [٥٩] : [الطويل]

وثق أن ربّ العرشِ جلَّ جلاله غفورٌ رحيمٌ للسرائر مُدركُ
وما كان من ذنبٍ لديهِ فإنَّهُ سيغفرهُ إلاّ بهِ حين يشركُ

ومن جميل اقتباساته التي تضيء بأشعتها القريحة ، وتجذب إليها القلوب والأفئدة ، قوله لمن كلف بحبّهم ، وملّكهم قلبه ، فما وجد عندهم ما كان يؤمّلهمن وصالٍ ووداد[٦٠] : [السريع]

قلوبنـــــا مودّعـــــةٌ عنـــــدكم أمانـــــةً نعجـــزُ عـــن حملهـــا
إنْ لـــمْ تَصُـــونوها بإحســـانِكمْ : أدُّوا الأمانـــاتِ إلـــى أهلِهـــا

يرسمُ الشاعر ــ في هذا البيت ــ معنًى جميلاً ، يوحي بحالته النفسية المتمثلة بالحب الـذي وهبه لأحبابه ، حيث جعل من قلبه بمثابة الوديعة التي عجز هو عن حملها ؛ لانشغال قلبه بهواهم ، وكثرة التفكير بهم . إنّه يستلّ هذا المعنى – الذي تمتزج به ملامح التأثير والحركـة – مـن قولـه تعالى (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَاناتِ إِلى أَهْلِها) ، [النساء : ٥٨] .

ومن جميل معانيها المقتبسة قوله[٦١] : [الكامل]

الوجـــه منـــك عـــن الصـــواب يُضـــلّني وإذا ضـــــللتُ ، فإنّـــــه يَهـــــديني
وتميتنـــــي الألحـــــاظ منـــــكَ بنظـــــرةٍ وإذا أردتُ بنظـــــــرةٍ تحيينـــــــي
وكـــذاك مـــن مـــرضِ الجفـــونِ بليّتـــي وإذا مرضـــــتُ فإنّهـــــا تشـــــفيني

فالجفون هي موضع ابتلاء الشاعر الذي شغفه هوى محبوبه ، فمضى يصـوغ أفكـاره ، ويفـرغ همومه في هذا البيت بدفق العاطفة الجياشة ، ورقة الوجدان المرهف ، مستثمراً المعنى القرآني في الآية الكريمة (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ) ، [الشعراء : ٨٠] ، للمعنى الذي قصد إليه .

ومن رقيق غزله الذي أظهرَ فيه لوعته وصبابته[٦٢] : [الكامل]

هَبْنـــي جرحـــتُ الخـــدَّ منـــكَ بنظـــرةٍ أفمـــا لأســـر القلـــبِ منـــكَ خـــلاصُ
هـــا قـــد جرحـــت بنبـــل عينيـــك الحشـــا فـــدعي فـــؤادي فـــالجروح قصـــاصُ

والمعنى الذي يفهم من البيت هو أنّ النظرة لا تجرح على نحو الحقيقة ، وإطـلاق الجـرح عليه يكون من باب الاستعارة ؛ لأنّ الخدَّ إنّما يُجْرحُ بالمُدية أو أية آلة جارحة ؛ وهو حينئذ تعبيـرٌ حقيقي ، أمّا إذا تجاوزنا بالتعبير هذه الحالة وجعلنا الخدَّ رقيقاً إلى درجة أنَّ النظرة تؤثّرُ فيه مع أنّ النظرة لا تؤثر في شيءٍ عادةً ؛ وإنّما أراد من ذلك المبالغة في الاستعارة للتدليل علـى رقـة خـد المحبوب بحيث توهم الشاعر أنه جرح خدّه بنظرة سامقة منه ، كما إن رموش عيني محبوبه التـي شبّهها بالنبال قد جرحت فؤاده ، ويطلب من هذا المحبوب أن يدع فؤاده لأن الجروح قصاص ، وهذا المعنى مقتبس من قوله تعالى (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالعَيْنَ بِالعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالجُرُوحَ قِصَاصٌ . .) ، [المائدة : ٤٥] .

ومن الاقتباس بالمعنى أيضاً ، قوله يخاطب مسجوناً من الأعيان[٦٣] : [السريع]

قـــد عُهِـــدَ الجـــوهرُ بـــالخَزنِ فـــلا تخـــفْ عاقبـــةَ السّـــجنِ
يوســـف نـــال الملـــك مـــن بعـــدهِ وعـــاشَ فـــي عـــزٍّ ، وفـــي أمْـــنِ
مـــن بعـــدِ مـــا أعمـــى أبـــاهُ البُكـــا وابـــيضّ عينـــاهُ مـــن الحـــزنِ

فهذه الأبيات تنطقُ بما حوته من معانٍ تُسهمُ في تصوير حال هذا المسجون الـذي ألجأتـه الظروف إلى دخول السجن ، فأراد الشاعر أن يهوّن عليه آلام السجن ، وفراق الأهل ، وأن عاقبته إلى خير ، فالنبي يوسف – عليه السلام – قد عانى ما عانى من قسوة السجن ، ومع ذلك فقد نـال بعد خروجه من السجن ملكاً عظيماً ، وصار عزيزاً لمصر ، بعدما استعرَ قلبُ أبيه يعقـوب عليـه ، وتجرَّع لوعة الأسى ، ومرارة الفراق فابيضّت عيناه من كثرة البكاء حزنا وأسفاً علـى يوسـف – عليه السلام – وقد استمد معنى البيت الثاني من قوله تعالى (وَكَذَالِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يِشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ ولاَ نُضِيعُ أَجْرَ المُحْسِنِين) ، [يوسف : ٥٦] ، في حين استمد معنى البيت الثالث من قوله تعالى (وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَي عَلَى يُوسُفَ وابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنْ الحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ) ، [يوسف : ٨٤] .

وعلى ذكر يوسف نراه يهيم بغلام اسمه يوسف ، وقد أسر قلبه بجماله الأخاذ ، وكـان قـد فارقه بعد عذاب وأسَى ، فمضى يصوّر حالته النفسية ، وما حلّ به من ألم الجوى ، ومرارة الهجر ، مستثمراً المعنى القرآني بهذه الصفة التي تذكرها الآية القرآنية : (قَالُوا تَاللهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الهَالِكِين) ، [يوسف :٨٥] ، وقد تصرّف الشاعر في ألفاظ الآية الكريمة ، حيث غيّر لفظ المقتبس منه بزيادة الألف في (يوسف) على جهة الإشباع ، مسـتثمراً معناها على هذا الوجه في تورية جميلة تثير شغف المتلقي[٦٤] : [الكامل]

أشْـــبهتُ يعقـــوبَ الحـــزينَ لأنّنـــي مـــا إن أزالُ ليوســـفٍ متأسّـــفا
حتّى اغتـدى كـلّ الأنـامِ يقـولُ لـي : تـــاللهِ تفتـــأ أنـــت تـــذكرُ يوســـفا

يردُ في هذا النص اللفظ (يوسف) وفيه التورية ؛ ويوسف اسم النبي يوسف – عليـه السـلام – وهذا هو المعنى القريب المورّى به ، أما المعنى البعيد المورّى عنه فهو اسم الغلام الذي هـام بـه الشاعر وشغل قلبه ، أنَّ هذا المعنى البعيد هو الذي يقصده الشاعر ، إذ لا يتسق المعنى العام بغيره .

وعند التعمق في أسرار المعنى الشعري ، وفي غمرة الأسى والهجر نجد قلب الشاعر الملتاع قد ذاب حسرةً وأسًى عند تذكر أحبابه الذين غابوا عن بصره ، وبقي قلبه يلاحقهم ، وأظلمت الدنيا بعدهم ، وخيّم عليه الحزن على نحو ما نرى في قوله(٦٥) : [مجزوء الرمل]

بلّغي الأحبابَ يا ريـ ـحَ الصّبا عنّي السلاما
وإذا خاطبك الجـ ـلُ بي قولي : سلاما

فهذا النص يفيض بالحنين للأحباب الذين لا يسلوهم ولا ينساهم ، ولا يزال يأمل أن تحمل ريح الصبا سلامه إليهم ، غير آبهٍ بالعذول الجاهل إذا لامه على فعله ، فهو لا يستحق بأكثر من أن يردّ عليه (سلاماً) ، إقتداءً بقوله تعالى (وَعِبادُ الرَّحْمنِ الّذينَ يَمْشُونَ عَلَى الأرضِ هَوْناً وإذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَما) ، [الفرقان : ٦٣] .

وحين يشأ هجاء شخصٍ كبير الأنف فإنّه ينتزع له معنًى مقتبساً من القرآن الكريم(٦٦) : [الخفيف]

لو غدا أنفكَ العظيم غدا وهْـ ـو وقودٌ للنار ذات الوقودِ
ثمّ قالوا : هلْ امتلأتِ ؟ لقالت : هو حسبي ، ولم ترد من مزيدِ

إن من يتأمل هذا النص يستحضر مقام وسياق الآية الكريمة : (يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ) ، [سورة ق : ٣٠] ، وهو معنى يتعلق بخزنة جهنم ، وهم يدفعون بالكفار إلى النار دفعاً فتلتهمهم ، وسؤال الخزنة لجهنم : هل امتلأت – على سبيل المجاز – فكان جوابها : هل من مزيد ، لكن صفي الدين الحلي ذهب بهذا المعنى إلى معنًى مغاير وبعيد ، فهو من حيث سياق الآية معنًى لا خير فيه ، ولا نفع على وجه التجوّز ، ولكن الشاعر تقصد هذا المعنى لأنّ غايته السخرية والتهكم بالمهجو .

ويجنح الشاعر إلى أساليب بلاغية متنوعة ، طلباً لتمام المعنى الذي قصد إليه ، مستعيناً بالمفارقة التي تتمثل في إيراد المعاني المتضادة للوصول إلى قلب المتلقي والتأثير فيه ، فتثير شغفه ، ومن ذلك قوله يصف محبوبه بالحسن(٦٧) : [السريع]

بدرٌ ظننّا وجهه جنّةٌ فمسّنا منها عذابٌ أليمْ

فقد طابق الشاعر بين الجنة والعذاب ، بأسلوبٍ بعيد عن التكلف والصنعة ، وقد شبّه وجه محبوبه بالجنة ، ذلك المحبوب الذي لقي من مرارة هجره ، ولوعة إعراضه عذاباً أليماً ، وهو معنى مستمد من قوله تعالى (ثُمَّ يَمَسُّهُم مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) ، [هود : ٤٨] .

وينزع أحياناً إلى الجناس بوصفه صورة من صور الإيقاع المتناغم الذي يكسُو النص الــذي يردُ فيه جمالاً ، ويزيدُهُ قوّةً في الرنين ؛ بسبب تعاقب المقاطع على نحوٍ منــتظم فيشــتدُّ وقعهــا ، ويتلاحق تأثيرها على نحو ما جاء في قولــه[٦٨] : [مجــزوء المتقارب]

وللنـــــرجسِ الغـــضِّ مـــا بيننـــا وجـــــوهٌ بحضـــــرتنا ناضـــــرَهْ

كـــــأنَّ تحـــــدُّقَ أزهارهـــــا عيـــونٌ إلـــى ربِّهـــا نـــاظرهْ

يصف صفي الدين الحلي النرجس في مجلس اجتمع فيه الشاعر بأصدقائه ، وقد بدا النرجس غضاً، وقد استطاع الشاعر بقدرته الإبداعية أن ينقل – في هذا النص – دلالة اللفظ القرآنــي مــن معناه : (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إلى رَبِّها نَاظِرَةٌ) ، [القيامة : ٢٢– ٢٣] إلى معنى مغاير يــروم إيضاحه ، وإبراز صورته ، كما جانسَ بين اللفظتين (ناضرة) التي جاءت بمعنى النضــرة حيــث الرونق والبهجة ، وبين (ناظرة) التي تعني الباصرة ، وهذا التجانس يخلقُ عمقاً إيقاعيــاً موحيــاً يتولّد من توالي الألفاظ المتجانسة فيما بينها .

ومن جناس الاشتقاق قوله[٦٩] : [الخفيف]

والتنـــاجي بـــالطور إذ كلّـــم الرحْـــ ـــــمانُ موســـى نبيّـــه تكليمـــا

وقعت المجانسة بين (كلّم (و (تكليما) وهي مشتقة من حروف الجنس ؛ لأنّ كليهما مــن أصل واحد ، وهو مأخوذ من قوله تعالى (وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً) ، [النساء : ١٦٤] ، مع أن هذا التجانس يزيد من تكثيف موسيقى النص ، كما يخلق نوعاً من الانسجام بــين موســيقى اللفظتــين ومعناهما ، ممَّا يجعله أحسن وقعاً في السمع ، وأكثر علوقاً في الذهن .

وفي مجال آخر من ألوان التأثير بالأسلوب القرآني الذي اعتمده صفي الدين الحلــي ، هــو أسلوب القصر الذي يراد به : تخصيصُ أمرٍ بآخر بطريق مخصوص بحيث لا يتجاوزه ولا يتعــدّاه إلى غيره حقيقة أو ادعاءً[٧٠] ، ويؤتى بالقصر للمبالغة في المعنى ، وتمكين الكلام وتقريره في ذهن المتلقي ، ويتمّ ذلك من خلال أداة الحصر (إنّما) ، على نحو ما جاء في قوله يمدح أهل البيــت – عليهم السلام – [٧١] : [الخفيف]

إنمـــا الله عـــنكمُ أذهـــبَ الرجـــ ـــــسَ فـــردّت بغيظهـــا الأحقـــادُ

فهذا المعنى مقتبسٌ من قوله تعالى (إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) ، [الأحزاب : ٣٣] .

ومن طرق القصر التي اعتمدها صفي الدين الحلي في شعره ، تقديم ما حقّه التأخير ؛ إتماماً للمعنى ، وجلباً للانتباه ، على نحو ما جاء في قوله من قصيدته البديعية التي يمدح بها النبي محمد – صلّى الله عليه وآله وسلّم – (٧٢) : [البسيط]

هذي عصاي التي فيها مآربُ لي وقد أهشُّ بها طوراً على غنمي

وفي هذا البيت نجد الشاعر يستمد معناه من قوله تعالى في حكاية موسى بن عمران – عليه السلام – حين سأله عن عصاه ؟ ، فقال (قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى) ، [طه : ١٨] ، وما أراده موسى في الآية المقتبسة المعنى أنه (كان يسقط أوراق الأشجار بعصاه لترعاه الغنم فتنتفع به ، وما أراده صفي الدين من معنًى هو تمثيل لحاله وتوسله لانتفاع نفسه بمديح النبي محمد – صلّى الله عليه وآله وسلّم – بحال الهشّ بالعصا على الغنم ، وذلك على سبيل الاستعارة، حيث استعار العصا للمدحة بعد أن ذكر أن له فيها مآرب – وقد نقل الشاعر المقتبس منه عن معناه الأصلي إلى معنًى آخر ، ولا يضرُّ ذلك في الاقتباس بل هو من محاسنه)(٧٣) .

ومن التقديم والتأخير أيضاً ، قوله(٧٤) : [الكامل]

يا من لجمالِ يوسفٍ قد وَرِثا العاذلُ قد رقّ لحالي ورَثى

والناسُ تقول إذ ترى حُسنكَ ذا : سبحانك ما خلقت هذا عَبَثا

فهذا المعنى مأخوذ من قوله تعالى (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ) ، [آل عمران : ١٩١]

وهناك استعمال آخر لأسلوب الاستفهام (الهمزة) الذي يستعمل لطلب التصوّر ، وهو إدراك المفرد ، أي تعيينه ، كما في قوله(٧٥) : [الرمل]

قد قضينا العُمرَ في مطلِكُم وظننا وعدكم كان مقاما

أ إذا مُتنا نرى وعدكم أم إذا كنّا تراباً وعظاما ؟

لقد جاء الاقتباس مقترناً بالاستفهام الاستنكاري الذي يعتقد الشاعر أن الوعد قد يتحقق من أحدهما ، ولكن يتطلب تعيينه ، مستثمراً المعنى القرآني ليضيفه إلى معنًى آخر يلزمه ، وإذا كان معنى القرآن هو تساؤل الكفار عن عودتهم إلى الحياة بعد أن استحالوا إلى ترابٍ وعظام نخرة ،

وهو ما أرادته الآية الكريمة (أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَءِنَّا لَمَبْعُوثُون) ، [الصافات ٥٣] ، وقد نقله الصفي عن هذا المعنى إلى معنًى آخر ، مشكّلاً حواراً مع أحبّته الذين ساموه التسويف بالوعد ، كاشفاً من خلال هذا الحوار عن عمق معاناته ، ولوعة أساه .

واستعمل لفظتي (آنس ، وقبس) وقد اقتبسهما من قوله تعالى (إِذْ قَالَ مُوسَى لأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَاراً سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ) ، [النمل : ٧] وقد أضفى عليها دلالة واضحة ، وصورة جميلة على نحو ما جاء في قوله[٧٦] : [البسيط]

لمّا رُفعت ناركم للساري آنستُ على النارِ هُدى الأسرارِ
قد جئتُكم أرومُ منها قبساً نوديتُ أن بُورِكَ مَنْ في النارِ

وأما فيما يتعلق باقتباسه من الحديث الشريف فقوله في بعض ممدوحيه ، وكان من عادة هذا الممدوح أن يعاجله بالبرّ والإحسان ؛ لأنّ خير البرّ عاجله ، وإن أصابه التبرم فعليه أن يدلّه على من يسرع بالبر إليه ، لأنّ الدال على الخير كفاعله[٧٧] : [الكامل]

أصبر لعادتك الحسنى التي عجلت بالبرّ نحوي ، وخيرُ البرِّ عاجلُهْ
وإن تبرّمتْ فادللنا على ملكٍ يحكيك لي فدليل الخير فاعلهْ

والمعنى واضح الدلالة ، وهو مقتبس من قول رسول الله – صلّى الله عليه وآله وسلّم – (من دلّ على خيرٍ فله مثل أجر فاعله) [٧٨] .

٢– الصور :

تعدُّ الصورة الشعرية من العناصر الأساسية في عملية التقويم الفني بل (الوسيلة التي يحاول بها الأديب نقل فكرته وعاطفته معاً إلى قرّائه أو سامعيه) [٧٩] .

لقد اتخذ صفي الدين من الصورة الشعرية وسيلة مهمة للتعبير عن رؤاه وأفكاره في تجسيد الأبعاد المختلفة التي تعكس مهارته الفنية في صياغة (نسخة جماليَّة تستحضر فيها لغةُ الإبداع ؛ الهيئةَ الحسيَّة ، أو الشعوريَّة للأجسام ، أو المعاني ؛ بصياغة جديدة ؛ تمليها قدرة الشاعر ، وتجربته ، وفق تعادليَّة فنيَّة بين طرفين ، هما : الحقيقة ، والمجاز) [٨٠] .

ويستمدُ الشاعرُ صورَهُ ومعانيه من القرآن الكريم ، معتمداً في ذلك على ملكة التخييل ، وقدرته على التأليف بين الصور والمعاني ؛ إذْ أنَّ الصورة قوام المعنى ، ولا قيمة للصورة من دونه ؛ لهذا نجده يرسم الصورة الرائعة ، ويختار لها أجمل إطار ، ويلجأ إلى إثارة الخيال كونه عنصراً

مهماً من عناصر تشكيل الصورة الفنيَّة الحيَّة من خلال تضمين النصّ الشعري صوراً من القرآن مستثمراً الصورة التي استخدمها في رسم مشهدٍ معين ؛ لأن القرآن قد حوى بين دفتيه طائفة كبيرة من الصور المبتكرة التي أغنت الخيال العربي ، وفي هذا ما يدلُّ على شاعرية خصبة ، وإن كان ما يزال يغوص وراء الصور حتى يأتي منها بفرائد عجيبة مع حلاوة الأسلوب وعذوبته ، مما يدلُّ على أنّه كان شاعراً مبدعاً متمكّناً من فنّه ، ذا طاقة إبداعية هائلة ، وقدرة فنية واسعة في استثمار النصّ القرآني استثماراً يليق بالمعنى الذي يرومه إيضاحه ، وإبراز صورته . وهو في ذلك يستند إلى ضروب البيان المعروفة كالتشبيه والاستعارة والكناية . ومن هذه الصور التي التقطها وضمّنها في تضاعيف شعره صورة (خفض الجناح) على نحو ما جاء في قوله[٨١] : [الكامل]

إنّ الصديقَ إذا رآكَ مخالفاً لهواهُ ، بدّلَ ودَّهُ بعقوق

فاخفضْ جناحكَ للصدّيق مُتابعاً لهوائهِ ، أو عِشْ بغيرِ صَديق

ما أحسن هذا الاقتباس وأتمه وأقواه ، فالجناح بالنسبة للطائر يمثل القوة والسطوة ، وإذا ما كسر هذا الجناح فيلزمه من خفض الجناح الذل والهوان ، لذا تراهُ يحبو على الأرض باسطاً جناحيه ، وكأنه يطلب الشفقة والرحمة . هكذا يريد الشاعر أن يصنع الصديق بصديقه ، وليس في ذلك ما ينقص من قدر الصديق ، ويقلل من شأنه ؛ لأنّ خفض الجناح هنا يعني التواضع ، ولين الجانب ، والبعد عن الترفع في حقّ الصديق ، وقد استوحى الشاعر هذه الصور الرائعة من القرآن الكريم في قوله تعالى (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً) ،[الإسراء : ٢٤] .

ومن الصور التي استعملها الشاعر صورة (قدّ الدبر) كما في قوله[٨٢] : [البسيط]

هبّوا فقد قُدَّ ذيلُ الليل من دُبرٍ ونبّه الصحبَ شدوُ الورق في السّحرِ

إنَّ من يتأمل هذا البيت يجد كلمة لم تستعمل في معناها الحقيقي ؛ فكلمة (ذيل الليل) مجاز بقرينة (من دبر) ، فالشاعر هنا يتجوَّز في الكلمة فيطلقها على غير معناها في اللغة ولا يكمل تعلق الدبر من دون الذيل تحقيقاً للمبالغة في التشبيه ، وقد استمد هذه الصورة من قوله تعالى (واسْتَبَقَا البَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى البَابِ) ، [يوسف : ٢٥] . فالصلة بين الآية الكريمة والبيت واضحة ، ولكنّ صفي الدين مع ذلك حاول أن يحدث تحويراً في الصورة عندما استعمل لفظ (قدّ ذيل الليل من دبر) وهي صورة دقيقة ، ليدلّ على صورة الفجر الذي أقبل ، وقد أكمل صورة الليل بإدباره بعد أن جعل لليل ذيلاً من باب الاستعارة التخيلية .

ومن هذه الصور التي تنطوي على جمال التعبير ، ودقّة التصوير قوله[٨٣] : [الكامل]

عقـــرت ثمـــودُ لـــهُ قـــديماً ناقـــةً وهـــو الغنـــيُّ عـــن الـــورى والمُـــنعم
فـــأذاقهم ســـوطَ العـــذاب وإنّهـــم بـــالرجز يخســـفُ أرضـــهم ويُدمـــدمُ

فالصورة تمثلت (فأذاقهم سوط العذاب) وهي صور حسية مقتبسة من قوله تعالى (فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ) ، [الفجر : ١٣] وقد استعار الذوق وهو مما يحس في الطعم إلـى العـذاب وهو مما يدرك بالعقل ، وقد عبّر عنهما بالسوط الذي هو آلة العذاب .

ومن ذلك قوله[٨٤] : [الطويل]

حفظتُ لكم عهدي علـى القـربِ والنـوى وما ضلَّ قلبي في هـواكم ومـا غـوى

وهذه صورة جميلة مستوحاة من قوله تعالى (مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى) ، [النجم : ٢] ؛ فالآية فيها دلالة بيانية هي كناية عن موصوف وهو النبي محمد – صلّى الله عليه وآله وسلّم – إلاّ أن الشاعر غيّر شيئاً من ألفاظ الآية فجاء (بقلبي) بدل صاحبكم ، وهو من باب الاستعارة ؛ حيـث عبرَّ عن القلب تعبيراً دقيقاً من خلال هذا التشخيص الذي جعل من القلب شخصية قابلـة للضـلال ؛ لعلاقة المشابهة ما بين الضلالة والقلب ؛ لأنّ القلب لا يضلّ ، وإنما الضـلالة للإنسـان ، ومـراد الشاعر ، ما أعرض قلبي عن هواكم ولا صدّ ، بل بقي محافظاً لودادكم ، راعياً لعهدكم ، ومما زاد في إيضاح المعنى وتقوية الصورة أنّه طابق بين القربِ والنوى .

وينزع أحياناً في اقتباساته إلى التشبيه كما في قوله[٨٥] : [الخفيف]

طـــابَ رزقٌ لـــهُ بمغنـــاهُ فـــالرز قُ لـــدى غَيْـــرِهِ كسَـــمِّ الخيـــاطِ

ما أروع هذه الصورة وأبهاها ، إنها صورة جميلة ، ومعنى رائع ، يجسده الشاعر من خلال توظيف المعنى القرآني ، حيث يصور الرزق عند غير الممدوح كسم الخياط في ضيقه وقلّته ، وعدم بسطه ، وقد التقط هذه الصورة من قولـه تعـالى (وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ) ، [الأعراف : ٤٠] .

ومن روعة التشبيه الذي أخذه فزاده إيضاحاً قوله[٨٦] ، وقد تكرر استعمال لفظ (سـراب) في أكثر من موضع من شعره : [الخفيف]

ومعـــانٍ مشـــرّقاتٌ حســـانٌ مـــا تـــوارت شمســـها فـــي حجـــابِ
هـــي للـــواردين مـــاءٌ زلالٌ وســـواها لامـــعٌ كالسّـــرابِ

نجد الشاعر قد استعمل لفظ (السراب) الذي كثيراً ما يتراءى لمجتازي المفاوز عند خشيتهم الظمأ ، وما تمنحه هذه اللفظة من دلالة إيحائية ، وصورة جميلة تتضاءل دونها أيّ صورة أخرى في هذا الموضع من خلال هذا التشبيه مقتفياً أثر القرآن الكريم في قوله تعالى (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ عِنْدَ اللهِ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ واللهُ سَرِيعُ الحِسَابِ) ، [النور : ٣٩] .

ومثله قوله[٨٧] : [الطويل]

أفي كلّ يومٍ لي إليك رسائلٌ وفي كلّ طورٍ وقفةٌ وعتابُ

أعللُ روحي بالورود على الظما وأطعمُها بالماء وهو سرابُ

إنّه يصوّر في هذا البيت شجو نفسه ، ولوعة فراقه ، وسوء حظه ، وإنه لا يزال يجري وراء أحبابه الذين شبه الجري خلفهم بالسراب الذي يحسبه الضمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً .

ومما اقتبسه صفي الدين الحلي من الحديث الشريف قوله وهو يرسم صورةً جميلة لغلامٍ صبيح الوجه ، رائق الشباب ، فاتن الطرف قد هام به عشقاً ، وذاب فيه صبابة ، ومن خلال هذا المعنى الذي اقتبسه من قول النبي محمد – صلّى الله عليه وآله وسلم - (حفت الجنة بالمكاره ، وحفّت النار بالشهوات)[٨٨] ، مع تغيير طفيف في الألفاظ ، يقول[٨٩] : [مجزوء الكامل]

يا جنّة الحسن التي حُفّت لدينا بالمكارهْ

إنّي لوجهكِ عاشقٌ ولمنظر الرقباء كارهْ

استطاع صفي الدين في هذا النصّ أن ينقل معنى الحديث الشريف إلى معني يلبي حاجته ، ويحقق هدفه هو أن من يرغب بوصل المحبوب فلا بدّ من تحمل أذى الرقيب ، وقد ظهر رقيبه قبيح الطبع غليظه فلابدّ من ملاطفته ومداراته لينال معه المطلوب .

والصورة في هذا النص بديعة حيث صوّر غرامه بمحبوبه ، وشدّة كلفه به ، وهو محفوف بأذى الرقباء الذين قطعوا عليه لذة الاستمتاع بالنظر إلى وجه هذا المحبوب الذي جعله بمنزلة بالجنة ، ومعناه أن من طلب جنة وجهك يتحمل أذى الرقباء ، كما أن من طلب الجنة يتحمل مشاق المجاهدة وعناء التكاليف لأجل بلوغها ، وقد أحيط كلّ منهما بالمكاره ، ومن أجل ذلك فلا بدّ من احتمال نوازل المكروه ، ولواحق المحذور طلباً لبلوغ الغاية .

هذا آخر ما اخترته من سائر ديوان صفي الدين ، وبديع نظمه في الاقتباس ؛ لتكون مثلاً على اقتباساته الباقية التي وردت في شعره ، فأضفت عليه هذه النفحة الزكية من الرقة والجمال ، وقد جرت في شعره في بساطة ويسر ، فأكسبته حلاوة وقوة .

الخاتمة

ويجمل بنا ونحن ننهي هذا البحث عن ظاهرة الاقتباس في شعر صفي الدين الحلي ، أن نبيّن أبرز النتائج التي توصلنا إليها ، ونستطيع أن نوجزها بما يأتي :

١- أبرز البحث عن مجيء الاقتباس كأحسن ما يكون عليه في إبراز المعنى ، وإيضاح الصورة ؛ لأنَّ اختصار المعنى في آية أو جزء من آية يمنح النصّ الذي يردُ فيه بُعداً فنياً ، ولا ريب من أن الألفاظ المقتبسة من القرآن ، أو الحديث تزيد الكلام قوّة وبلاغة ، كما تضفي عليه حسناً وجمالاً .

٢- إن ما اقتبس من القرآن الكريم أن يكون غير خارج عن معناه الذي ورد به القرآن ، ويصح أن يكون خارجاً بشيءٍ من التصرّف ، وفي الحالة الأولى يعد المضمّن قرآناً ، بشرط أن لا يكون فيه أدنى تحريف لفظي ، وفي الحالة الثانية لا يعد قرآناً ولو لم يتغيّر لفظه ، ولو ضمن بشيءً من التغيير اللفظي فلا يعتبر قرآناً .

٤- يظهر أثر القرآن الكريم في الشعر العربي منذ نزول القرآن على النبي محمد – صلى الله عليه وآله وسلّم – ويظهر أثره في مجال خصائص الشعر وسماته ، والمتمثل بما اصطلح عليه البلاغيون بالاقتباس ، فهو يضفي على النص دلالات عظيمة ، ومعاني راقية تكشف عن حفاوة الشاعر واهتمامه بكتاب الله عز وجل .

٣- أبان البحث أن صفي الدين الحلي كان مفتوناً بالاقتباس وقد استعمله كثيراً في شعره حتى أصبح ظاهرة بارزةً في شعره ، وقد تهيأ له من القدرة الفنية ، والطاقة الشعرية ما جعله في طليعة الشعراء المشهورين بهذا الفن .

٤- أظهر البحث حفاوة صفي الدين الحلي واهتمامه بالاقتباس الذي برع فيه وأجاد ، وافتنَّ في صياغته ، وأظهر حرصه على استعارة ألفاظ القرآن ومعانيه وصوره ، واستثمارها استثماراً يليق بالمعنى الذي يرومه إيضاحه ، وإبراز صورته ، والإفادة منه قصداً للاستعانة على تأييد المعنى المقصود ، وإظهار مهاراته الفنية ، وقدراته الإبداعية على النظم فيه .

٥- استعان صفي الدين الحلي بالقرآن كثيراً في التعبير عمّا يعتلجُ في صدره ، من خلال نزوعه إلى الأخذ منه مراراً وتكراراً ، وكأنما جعل ذلك خاصة فنية له تميّزه من بين نظرائه الذين غرقوا بفنون البديع الأخرى كالتورية والجناس وغيرها ، بما يشهد له بطول الباع ، والفهم الدقيق ، والذوق

الصحيح في اختيار المناسبة بما يتلائم والمقتبس منه ، من غير أن يعتري اللفظ شذوذ ، أو قلق ، أو حرج ، ومن غير أن يبدو الكلام مرذولاً مردوداً .

٦- وجنوح صفي الدين الحلي إلى الاقتباس من القرآن الكريم ؛ لما للقرآن الكريم من موقع مستحسن في النفس ، فضلاً عمّا يمنحه الاقتباس من تقوية المعنى ، وما يضفي عليه من دلالات إيحائية ذات تأثير وقوة .

٧- وأبرز البحث أن الاقتباس في شعر صفي الدين الحلي قد جاء على نوعين هما الاقتباس النصي ، وقد تمثل بما أودعه الشاعر من آي الذكر الحكيم ، أو حديث نبوي شريف اقتبسها نصّاً ، دون أن يتصرّف بألفاظها ، أو أن ينبّه عليها أحد ، وكأنّه جزءٌ من شعره . والاقتباس الاشاري وقد تلمسنا فيه كيف غيّر الشاعر لفظ المقتبس منه بزيادة أو نقصان ، أو تقديمٍ أو تأخير ، أو إبدال الظاهر من المضمر ، وقد وقع هذا الاقتباس في المعاني والصور .

الهوامش

(١) ترجمته في : مسالك الأبصار : ٢٤٠/١٦ ، وفوات الوفيات : ٣٣٥/٢ ، والوافي بالوفيات : ٢١٦/١٥ ، وأعيان العصر : ٤٥/٣ ، وتذكرة النبيه : ١٣٨ ، والدرر الكامنة : ٢/ ٢٢٥ ، والنجوم الزاهرة : ١٨٨/١٠ ، والمنهل الصافي : ٢٧٤/٧ ، ونيل الأمل : ١٨٠/١ ، بدائع الزهور : ج١، ق٥٢٦/١ ، نزهة الجليس : ٣١٣/٢ .

(٢) الدرر الكامنة : ٢٢٥/٢ .

(٣) ديوان صفي الدين الحلي : ٢٠ .

(٤) الديوان : ١٠ .

(٥) هدية العارفين : ٥٨٢/١ ، معجم المؤلفين : ٢٤٧/٥ .

(٦) نزهة الجليس : ٣١٣/٢ .

(٧) تذكرة النبيه : ٣/ ١٣٨ .

(٨) أعيان العصر : ٤٦/٣ .

(٩) فوات الوفيات : ٣٣٥/٢ .

(١٠) لسان العرب (مادة قبس) : ٢٠١/٦-٢٠٢ ، والمصباح المنير (مادة قبس) : ٢٨٢ .

(١١) مواهب الفتاح : ٦٨٣/٢

(١٢) الأطول (شرح تلخيص مفتاح العلوم) : ٥٠٩/٢ .

(١٣) كتاب الاقتباس من القرآن الكريم : ٨١ .

(١٤) المثل السائر : ٤٢/١ .

(١٥) حسن التوسل : ٣٢٣ .

(١٦) الإيضاح : ٣٤٢ ، والمطول (شرح تلخيص مفتاح العلوم) : ٧٢٣ ، والتعريفات : ٢٦ .

(١٧) التبيان في علم المعاني والبديع والبيان : ٣٤٤ .
(١٨) الإيجاز لأسرار كتاب الطراز : ٤٣٨ .
(١٩) خزانة الأدب للحموي : ٣٥٧/٤ .
(٢٠) زهر الربيع : ١١٦ .
(٢١) أنوار الربيع : ٢١٧/٢ .
(٢٢) شرح عقود الجمان : ٣٨٣ .
(٢٣) الديوان : ٦٧١ .
(٢٤) الديوان : ٦٤١ .
(٢٥) عروس الأفراح : ٤٢١/٢ .
(٢٦) الإيضاح : ٣٤٣ .
(٢٧) كتاب الاقتباس من القرآن الكريم : ٨٢ .
(٢٨) المثل السائر : ٤٢/١ .
(٢٩) إحكام صنعة الكلام : ١٦٩ .
(٣٠) كتاب الاقتباس من القرآن الكريم : ٨٢ .
(٣١) البرهان في علوم القرآن : ٢٣ .
(٣٢) حسن التوسل : ٧٦ .
(٣٣) البيان والتبيين : ٧٣/٤ .
(٣٤) الإيجاز : ٤٣٩ .
(٣٥) علم البديع : ٢٢٥ .
(٣٦) حسن التوسل : ٧٣ .
(٣٧) شرح عقود الجمان : ٣٧٨ .
(٣٨) المصدر نفسه : ٣٧٩ .
(٣٩) عروس الأفراح : ٤٢٢/٢ .
(٤٠) شرح عقود الجمان : ٣٧٩ .
(٤١) المصدر نفسه : ٣٧٩ .
(٤٢) ظ : شرح الكافية : ٢٧٩ ، وشرح عقود الجمان : ٣٧٩ ، وأنوار الربيع : ٢١٨/٢.
(٤٣) الديوان : ٤٢٤ .
(٤٤) المثل السائر : ٢٨٧/٢ .
(٤٥) الديوان : ٥٨٤ .
(٤٦) الديوان : ٦٧١ .
(٤٧) الديوان : ٥٩٨ .

(٤٨) الديوان : ٦٥٢ .
(٤٩) الديوان : ٥٧٨ .
(٥٠) الديوان : ٦٣٨ .
(٥١) الديوان : ٣٩٦ .
(٥٢) الديوان : ٨٦ .
(٥٣) الديوان : ٦٦٠ .
(٥٤) الديوان : ٥٦٩ .
(٥٥) صحيح مسلم : ٦/ ٦٥٧ ، كتاب الإمارة ، رقم الحديث : ١٩٠٧ .
(٥٦) أنوار الربيع : ٢١٧/٢ .
(٥٧) الديوان : ٥٧٩ .
(٥٨) الديوان : ٣٢٥ .
(٥٩) الديوان : ٤٠٧ .
(٦٠) الديوان : ٥٢٢ .
(٦١) الديوان : ٤٢٧ .
(٦٢) الديوان : ٤٠٩ .
(٦٣) الديوان : ٦٨١ .
(٦٤) الديوان : ٤٦٧ .
(٦٥) الديوان : ٤٩ .
(٦٦) الديوان : ٦٤٦ .
(٦٧) الديوان : ٣٩٧ .
(٦٨) الديوان : ٥٥٣ .
(٦٩) الديوان : ٤٩٤ .
(٧٠) شرح عقود الجمان : ١٢٢ ، وينظر عنه المطول : ٣٨١ .
(٧١) الديوان : ٨٩ .
(٧٢) الديوان : ٧٠٢ .
(٧٣) الصنيع البديع ٢٩٠ .
(٧٤) الديوان : ٤٦٤ .
(٧٥) الديوان : ٥٨٣ .
(٧٦) الديوان : ٦٧٦ .
(٧٧) الديوان : ٦١٤ .
(٧٨) صحيح سلم : ٦٢٧/٦ ، كتاب ألإمارة ، رقم الحديث : ١٨٩٣ .

(٧٩) أصول النقد الأدبي : ٢٤١.

(٨٠) الصورة الفنيَّة معياراً نقديّاً : ١٥٩ .

(٨١) الديوان : ٦٦٣ .

(٨٢) الديوان : ٥١٩ .

(٨٣) الديوان : ٦٧ .

(٨٤) الديوان : ٤١٢ .

(٨٥) الديوان : ٧٣٦ .

(٨٦) الديوان : ٣١١ .

(٨٧) الديوان : ٤٥١ .

(٨٨) صحيح مسلم : ٩/ ٢٧٠ ، كتاب الجنة ، رقم الحديث : ٢٨٢٢ .

(٨٩) الديوان : ٤١٩ .

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم .

٢- إحكام صنعة الكلام : لأبي القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي الأندلسي (أحد أعلام القرن السادس الهجري) ، تحقيق : د . محمد رضوان الداية ، مطبعة النجوى ، بيروت ، ١٩٦٦م ،

٣- الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة : لركن الدين محمد بن علي بن محمد الجرجاني (ت : ٧٢٩هـ) ، علق عليه : إبراهيم شمس الدين دار الكتب العلية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .

٤- أصول النقد الأدبي : د . أحمد الشايب ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٤٢م

٥- الأطول (شرح تلخيص مفتاح العلوم) : لإبراهيم بن محمد بن عربشاه الحنفي(ت : ٩٤٣هـ) تحقيق : د . عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .

٦- أعيان العصر وأعوان النصر : لخليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ) تحقيق : عمرو محمد عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م .

٧- الاقتباس من القرآن الكريم : لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) تحقيق: د . ابتسام مرهون الصفار ، عالم الكتب الحديث ، أربد ، ط١ ، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م .

٨- الإيجاز لأسرار كتاب الطراز في علوم حقائق الإعجاز : ليحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٤٩هـ) تحقيق : د . بن عيسى باطاهر ، دار المدار الإسلامي ، ط١، ٢٠٠٧هـ .

٩- الإيضاح في علوم البلاغة : لجمال الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ) تحقيق : د . علي بو ملحم ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، الطبعة الأخيرة ، ٢٠٠٠م .

١٠- بدائع الزهور في وقائع الدهور (كتاب تاريخ مصر) : لأبي البركات محمد ابن أحمد بن إياس المصري (ت : ٩٣٠هـ) ، تحقيق : محمد مصطفى ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م .

١١- البرهان في علوم القرآن : لبدر الدين أبي عبد الله محمد بن بهادر الزركشي (ت : ٧٩٤هـ)، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م .
١٢- البيان والتبيين : لأبي عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) تحقيق : محمد عبد السلام هارون ، دار الفكر ، بيروت ، ط٢ .
١٣- التبيان في علم المعاني والبديع والبيان : لشرف الدين الحسين بن محمد الطيبي (ت ٧٤٣هـ)، تحقيق : د . توفيق الفيل ، مطبعة ذات السلاسل ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .
١٤- تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه : للحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب (ت : ٧٧٩هـ) ، تحقيق : د . محمد أمين ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ١٩٧٦م .
- التعريفات : للشريف علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦هـ) دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .
١٥- حسن التوسل إلى صناعة الترسل : لشهاب الدين محمود بن سليمان الحلبي (ت : ٧٢٥هـ) ، تحقيق : أكرم عثمان يوسف ، دار الحرية ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٠م .
١٦- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : لشهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت : ٨٥٢هـ) ضبطه وصحّحه : عبد الوارث محمد علي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .
١٧- ديوان صفي الدين الحلي (ت : ٧٥٠ هـ) ، تصحيح : كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٩م .
١٨- زهر الربيع في شواهد البديع : لناصر الدين محمد بن قرقماس (ت : ٨٨٢هـ) تحقيق : د . مهدي أسعد عرار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م .
١٩- شرح عقود الجمان في المعاني والبيان : لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت : ٩١١هـ) تحقيق : د . إبراهيم محمد الحمداني ، ود . أمين لقمان الحبّار ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١ ، ٢٠١١م .
٢٠- شرح الكافية : لصفي الدين عبد العزيز بن سرايا الحلي (ت :٧٥٠هـ) تحقيق : د . رشيد عبد الرحمن العبيدي ، مطبعة الوقف السنّي ، بغداد ، ط١ ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .
٢١- صحيح مسلم : للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت : ٢٦١هـ) ضبطه وصححه: محمد سالم هاشم ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط٢ ، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م .
٢٢- الصنيع البديع في شرح الحلية ذات البديع : لمحمد بن قاسم بن زاكور الفاسي (ت١١٢٠هـ) ، تحقيق : بشرى البداوي ، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء ، ط١ ، ٢٠٠١- ٢٠٠٢م .
٢٣- الصورة الفنيَّة معياراً نقديّاً (منحى تطبيقي على شعر الأعشى الكبير) : د . عبد الإله الصائغ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م .
٢٤- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح : لبهاء الدين أحمد بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت ٧٧٣هـ) تحقيق : د . خليل إبراهيم خليل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .
٢٥- علم البديع : الدكتور بسيوني عبد الفتاح فيود ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .

٢٦- لسان العرب : لابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي (ت : ٧١١هـ) ، تحقيق : عامر أحمد حيدر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .
٢٧- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : لضياء الدين نصر الله بن أبي الكرم بن محمد المعرف بابن الأثير الجزري (ت : ٦٣٧هـ) تحقيق : كامل محمد عويضة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .
٢٨- مسالك الأبصار في مالك الأمصار : لابن فضل الله أحمد بن يحيى العمري (ت ٧٤٩هـ) ، تحقيق : مهدي النجم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٠م .
٢٩- المصباح المنير لأحمد بن محمد الفيومي (ت : ٧٧٠هـ) اعتنى به : أحمد جاد ، دار الغد الجديد ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م .
٣٠- المطوّل شرح تلخيص مفتاح العلوم : لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت: ٧٩٢هـ) تحقيق : د . عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .
٣١- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي : ليوسف بن تغري بردى الأتابكي(ت ٨٧٤ هـ) ، تحقيق : د . محمد محمد أمين ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٩٩م .
٣٢- مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح : لأبي العباس أحمد بن محمد بن محمد بن يعقوب المغربي (ت : ١١٢٨هـ) تحقيق : د . خليل إبراهيم خليل ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
٣٣- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت : ٨٧٤هـ) قدّم له وعلق عليه : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .
٣٤- نيل الأمل في ذيل الدول : لزين الدين عبد الباسط بن خليل بن شاهين الظاهري الحنفي (ت : ٩٢٠هـ) ، تحقيق : د . عمر عبد السلام تدمري ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م .
٣٥- الوافي بالوفيات : لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت : ٧٦٤هـ) ، تحقيق : أبو عبد الله جلال الأسيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٠م .

Quotation in Safiyiddin al-Hulli's Poetry
A Rhetorical Study

By: Asst. Prof. Hussein abdul-'al al-Luheibi (Ph. D.)

Hilla was one of the Islamic cities since the age of the Maziadi's who took it to be their centre of monarch. It was then the most civilized and flourished, and since then it came to the centre for dignity, the minaret for science, and land of scientists and literary men. It has been the flambeau of the Islamic civilization for ages and an expressive symbol of nation's ambition in authenticity, creativity, and spreading the Arab and Islamic culture.

As Baghdad seized to be the illuminating, Hilla replaced it and people of different classes immigrated there as they considered Hilla a safe zone protecting them from Tatar.
Hilla played a great role in evolving the scientific movement in the Islamic world and was the main source for that. It came to fame via a group of literary men among whom there was Safiyiddin al-Hulli, the man of the rhetorical masterpiece and who was considered the most brilliant poet of the Middle Age during the eighth century A. H. He was famous of his style of verse characterized by mildness easiness, creativity, and the highly expressiveness of emotions and sensations that vividly translate of the human psyche.

Safiyiddin al-Hulli lived at a time when rhetoric was so dominated and increased that it attracted most of the poets then. He did quote the Holy Qur'an, like none did, as the Qur'an is a wide field whose springs literary men and poets could drink from, whose style could be useful for them, and whose words, expressions, and meanings could quoted in analogy with its Ayas.

Quotation is one of the rhetorical refiners that Safiyiddin al-Hulli was famous of. It is an overt phenomenon in his poetry in which he was keenly skilful. He intended to use such a phenomenon in order to support the intended meaning behind the use of expressions and images.